بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة دينية

فضيلة الشيخ الدكتور محمد أحمد عبد الغني



أبناؤنا لا يسمعون نصائحنا: أين الخلل؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الآباء والأمهات، من أكثر الشكاوى اليوم قولهم: «أبناؤنا لا يسمعون نصائحنا»، و«نتكلم ولا مجيب»، و«نوجّه فيقابلوننا بالعناد». وهنا يبرز السؤال: هل المشكلة دائمًا في الأبناء، أم علينا أن نراجع أساليبنا ونتساءل بصدق: أين الخلل؟

إن تشخيص المشكلة أولى خطوات العلاج؛ فلا يصح أن نلقي باللوم كله على الأبناء دون مراجعة أنفسنا. فالتربية ليست مجرد أوامر ونصائح وعقوبات، بل هي بناء للعقل، وغرس للقيم، وتأسيس لعلاقة تقوم على المحبة والثقة والاحترام. والمقصود ليس تبرئة الأبناء من أخطائهم، ولا تحميل الآباء وحدهم المسؤولية، وإنما فهم أسباب ضعف الاستجابة للنصيحة، والبحث عن وسائل تجعل كلماتنا أقرب إلى قلوب أبنائنا وعقولهم.

أولًا: غياب القدوة العملية[1]

من أعظم أسباب ضعف تأثير النصيحة مخالفة القول للفعل؛ فالأبناء يتأثرون بما يرونه من سلوك والديهم أكثر مما يسمعونه من كلامهما. فكيف نأمر الابن بالصدق ونحن نكذب، أو ننهه على الصلاة ونحن نتهاون فيها،

---

(1) **القدوة** "إحداث تغيير في سُلُوك الفرد من خلال اتباع الغير بأن يتَّخذ شخصًا أو أكثر ليتشبَّه به، في أقواله وأفعاله وتصرفاته ، بِنَاءً وَهَدْمًا، خَيْرًا وَشَرًّا، عَطَاءً وَمَنْعًا. وهذا يعني ان القدوة نوعان : حسنة وسيئة بحسب من يقتدى به .

أو ننهاه عن الإفراط في استخدام الهاتف ونحن غارقون فيه؟ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2] .

ولننظر إلى أب يشكو من انشغال ابنه بالهاتف، بينما ينشغل هو به أثناء الطعام وجلسات الأسرة، ولا يصغي إلى ابنه إذا تحدث إليه. أليس الأولى أن يبدأ الأب بنفسه، فيضع هاتفه جانبًا، ويخصص وقتًا لأسرته، ثم يتفق مع أبنائه على تنظيم استخدام الأجهزة؟ إن القدوة العملية أبلغ من النصائح المتكررة، فلنبدأ بأنفسنا قبل أن نطالب أبناءنا بالتغيير.

قال الحسن البصري: "الواعظُ مَن وعظَ الناس بعملِه لا بقوله، وكان ذلك شأنَه إذا أراد أن يأمرَ بشيء بدأ بنفسه فَفعلَه، وإذا أراد أن ينهى عن شيء انتهى عنه". وقد أدركَ السلفُ رضوان الله عليهم هذه المعانيَ, فهذا عمرو بن عُتْبة, ينصح معلِّمَ ولدهِ فيقولُ له: « ليكن أولُ إصلاحِكَ لولدي إصلاحَكَ لنفسِكَ, فإن عُيونَهم معقودةٌ بعينك, فالحسنُ عندهم ما صنعت, و القبيحُ عندهم ما تركت ».

ثانيًا: أسلوب النصيحة وتوقيتها

قد تكون النصيحة صحيحة، لكن أسلوب تقديمها يفسد أثرها؛ فحين تتحول إلى توبيخ ومحاكمة، أو تُقال أمام الإخوة والأصدقاء، يشعر الابن بالإهانة، وينشغل بالدفاع عن نفسه بدل الاستفادة منها.

وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى الرفق، فقال: « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع »[3]. ومن هديه في مخاطبة الصغار قوله لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما:« يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ...» [4].

تأملوا أبًا يعاتب ابنه أمام إخوته قائلًا: «أنت دائمًا مهمل! لماذا لا تكون مثل أخيك؟». فيشعر الابن بالإهانة، ويرد بغضب، وينتهي الموقف بالمشاجرة بدل الإصلاح. ولو أخذ الأب ابنه على انفراد، وقال له بهدوء: «ما حدث أزعجني، وأريد أن أفهم السبب، ثم نتفق على ألا يتكرر»، لكان أقرب إلى معالجة الخطأ.فالمقصود من النصيحة إصلاح الابن، لا كسر كرامته؛ فلنختر الوقت المناسب، ونتحدث برفق، ونناقش الخطأ دون إهانة صاحبه. قال ابن رجب رحمه الله: "كان السَّلفُ إذا أرادوا نصيحةَ أحدٍ، وعظوه سراً، حتّى قال بعضهم: مَنْ وعظ أخاه فيما بينه وبينَه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنَّما وبخه.

---

(2) الصف: 2-3

(3) إبراهيم: 40

(4) أخرجه الترمذي (2516) واللفظ له، وأحمد (2669)

ثالثًا: ضعف الجسر العاطفي وغياب الإنصات

نريد من أبنائنا أن يستمعوا إلينا، ولكن هل نستمع نحن إليهم؟ إن كثرة النقد والأوامر قد تجعل الابن يشعر بأن والديه لا يريان فيه إلا أخطاءه، بينما يساعده الإنصات واحترام مشاعره على المصارحة وتقبّل النصيحة. والإنصات لا يعني الموافقة على كل تصرفاته، بل أن نفهمه قبل أن نحكم عليه، ونمنحه فرصة للتعبير دون مقاطعة أو سخرية.

تأملوا أمًّا تشتكي من أن ابنتها لم تعد تصارحها، مع أن الابنة كلما تحدثت عن مشكلة قاطعتها أمها بقولها: «ألم أقل لك من قبل؟ أنت لا تفهمين!»،. ومع تكرار ذلك، تتعلم الابنة أن الصمت أهون من المصارحة، فتغلق الأم من حيث لا تشعر باب الحوار الذي تتمنى بقاءه مفتوحًا.

رابعًا: عدم مراعاة الفروق العمرية وتغير الزمن

من الأخطاء التربوية أن نعامل الشاب في العشرين كما نعامل الطفل في السابعة؛ فالطفل يحتاج إلى التبسيط والتوجيه المباشر، والمراهق يحتاج إلى الحوار، والشاب يحتاج إلى أن يُحترم عقله ويُعامل بوصفه إنسانًا مسؤولًا.

كما أن أبناء اليوم يعيشون في عالم مختلف، تحيط بهم وسائل التواصل ومؤثرات متعددة؛ لذلك لا يكفي أن نقول لهم: «هذا خطأ، فلا تفعلوه»، بل ينبغي أن نوضح الأسباب، ونناقش النتائج، ونعينهم على التمييز بين النافع والضار. فالثوابت والقيم لا تتغير، لكن أساليب التربية تحتاج إلى الحكمة ومراعاة اختلاف الأجيال.

ومن الأمثلة على ذلك أبٌ يريد لابنه أن يصبح طبيبًا، مع أن ميوله وقدراته تتجه إلى مجال آخر، فيقول له: «أنا أعرف مصلحتك أكثر منك، فلا تخيّب أملي!». فيشعر الابن أن مستقبله معركة لإرضاء أبيه، لا فرصة لاكتشاف قدراته. وكان الأجدر بالأب أن يحاوره، ويناقش معه فرص النجاح والتحديات، ويساعده على اتخاذ قرار مسؤول.

خامسًا: كثرة النصائح حتى تفقد أثرها

يظن بعض الآباء أن تكرار النصيحة يضمن نجاحها، فيحوّلون كل جلسة عائلية إلى موعظة، وكل خطأ إلى محاضرة طويلة، حتى يعتاد الأبناء الكلام وينفروا منه. فليست كثرة الكلام دليلًا على قوة التأثير؛ بل قد تكون النصيحة القصيرة في وقتها أنفع من التكرار المستمر.

وقد ورد عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا.فلا بد تكون في بعضِ الأيَّامِ دونَ بعضٍ، ويَتحرَّى الأوقاتَ المناسبةَ،الَّتي هي مَظنَّةُ استعدادِهم النَّفسيِّ لها.

تأملوا أمًّا تكرر على ابنها كل صباح: «استيقظ مبكرًا، وانتبه إلى دروسك، ولا تضيّع وقتك!»، ثم تعيد الكلام نفسه طوال اليوم. في البداية يصغي الابن، ثم يكتفي بقوله: «حاضر»، دون تغيير. والأفضل أن تتفق معه على مواعيد ومسؤوليات واضحة، وتتابع تنفيذها بهدوء .فأحيانًا لا يحتاج الأبناء إلى مزيد من الكلام، بل إلى خطة واضحة ومسؤولية يتحملونها.

سادسًا: الخلط بين التوجيه والسيطرة

من حق الوالدين توجيه أبنائهما وتعليمهم، لكن التوجيه يختلف عن التحكم في كل تفاصيل حياتهم. فقد يريد بعض الآباء من أبنائهم أن يفكروا بالطريقة نفسها، وأن يوافقوهم في كل رأي، وكأن الاختلاف دليل على العقوق.

والصواب أن نفرّق بين الثوابت الشرعية والأخلاقية، وبين الاختيارات الشخصية والمسائل التي تتسع للاجتهاد والاختلاف. فلنعلّم أبناءنا كيف يفكرون، ولنفتح لهم باب الحوار، مع الحفاظ على الاحترام والحدود الواضحة.

سابعًا: الرفق والحزم والتوازن في التربية

ليس الرفق ترك الأبناء يفعلون ما يشاؤون، ولا الحزم معاملتهم بالقسوة والصراخ؛ فالتربية تحتاج إلى المحبة والرحمة، كما تحتاج إلى الوضوح والثبات. وعندما يقع الابن في الخطأ، ينبغي توضيح خطئه وبيان عواقبه، ومعالجته بعدل وهدوء، بعيدًا عن الإهانة والانتقام.

تأملوا أبًا يغضب من ابنه، فيقول له: «لن تنجح أبدًا! أنت لا فائدة منك!». قد ينسى الأب كلماته بعد ساعات، لكن أثرها قد يبقى في نفس الابن طويلًا. والأفضل أن يقول: «ما فعلته خطأ، وأنا لا أقبله منك، لكنني أثق أنك تستطيع إصلاحه، وسأساعدك على ألا يتكرر

فلنحاسب أبناءنا على أخطائهم، دون أن نُلصق بهم صفات تحطم ثقتهم بأنفسهم .فلنكن رحماء من غير تسيّب، وحازمين من غير قسوة؛ فهدف التربية إصلاح الأبناء، لا إخضاعهم.

ثامنًا: الدعاء للأبناء لا عليهم

قد يدفع الغضب بعض الآباء والأمهات إلى الدعاء على أبنائهم، ثم يندمون بعد هدوء نفوسهم. وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، فقال: « لا تدْعوا على أنفسِكم ، ولا تدْعوا على أولادِكم ، ولا تدْعوا على خَدَمِكم ، ولا تدْعوا على أموالِكم...» [5].

ومن دعاء القرآن الكريم: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[6] .

تأملوا أمًّا يغلبها الغضب بسبب تأخر ابنها أو إهماله، فتقول: «الله لا يوفقك!» .فلا تجعلوا لحظة غضب سببًا لكلمات تندمون عليها طويلًا.

تاسعًا: قبل أن نحكم على أبنائنا، فلنحاول فهمهم

لاحظ أبٌ أن ابنه أصبح منطويًا، وتراجع مستواه الدراسي، وقلّ حديثه مع الأسرة. بدأ بالنصح والتوبيخ، لكنه لم يلحظ تحسنًا. ثم قرر الجلوس معه بهدوء، وقال له: «أشعر أن هناك ما يشغلك، وأنا هنا لأسمعك دون أن أستعجل الحكم عليك.

بدأ الابن يتحدث، وكشف عن مشكلات كان يخشى البوح بها خوفًا من اللوم. فأدرك الأب أن ما ظنه إهمالًا أو عنادًا قد يكون وراءه ألم أو قلق أو مشكلة يعجز الابن عن التعبير عنها.

ليس كل تغير في سلوك الأبناء دليلًا على سوء التربية، ولا كل صمت تحديًا؛ فقد تكون وراءه ضغوط نفسية أو دراسية أو اجتماعية. لذلك، قبل أن نسأل: «لماذا لا يسمعني ابني؟»، لنسأل: «ما الذي يمر به؟ وهل

---

(5) أخرجه أبو داود (1532) واللفظ له، وأخرجه مسلم (3009) مطولاً باختلاف يسير

(6) إبراهيم: 40

وفرت له فرصة آمنة ليتحدث؟.إن فهم الأبناء لا يعني تبرير أخطائهم، بل يساعدنا على اختيار العلاج المناسب.

عاشرًا: خطوات عملية لاستعادة تأثير النصيحة

بعد معرفة أسباب ضعف استجابة الأبناء، يمكننا اتباع خطوات عملية:

1. ابدأ بنفسك :كن قدوة في السلوك الذي تطلبه من ابنك.
2. استمع قبل أن تنصح :امنحه فرصة لشرح موقفه دون مقاطعة أو اتهام.
3. اختر الوقت والأسلوب المناسبين :ابتعد عن التوبيخ أمام الناس والنقاش وقت الغضب، واجعل نصيحتك هادئة ومحددة.
4. ناقش ولا تكتفِ بالأوامر :وضّح أسباب توجيهاتك، وأجب عن أسئلته، وإن جهلت الجواب فابحث عنه معه.
5. ضعوا قواعد واضحة :اتفقوا على ضوابط مناسبة للعمر في الدراسة والهواتف والنوم والمسؤوليات، والتزموا بتطبيقها بعدل وثبات.
6. عزّز السلوك الإيجابي :اشكر ابنك على صدقه وتعاونه وتحمله المسؤولية، ولا تجعل حديثك معه مقتصرًا على الأخطاء.
7. لا تستعجل النتائج :تغيير العادات يحتاج إلى وقت وصبر، والتعثر لا يعني فشل التربية.
8. اطلب المساعدة عند الحاجة :إذا استمرت المشكلة أو ظهرت مؤشرات على معاناة نفسية أو اجتماعية، فاستعن بمختص موثوق.

خاتمة المحاضرة

أيها الآباء والأمهات، فلنراجع كلماتنا قبل أن نلوم أبناءنا على صمتهم، وأفعالنا قبل أن نلومهم على مخالفتهم، ولنفتح أبواب الحوار قبل أن نتساءل لماذا أُغلقت قلوبهم. فقد لا يحتاج بعضهم إلى نصيحة جديدة بقدر ما يحتاج إلى أبٍ يُصغي، وأمٍّ تفهم، وبيتٍ يشعر فيه أن كرامته محفوظة، وأن الخطأ قابل للإصلاح، وأن المحبة لا تزول بسبب الزلل.

واعلموا أن التربية جهاد مستمر، وصبر طويل، ومسؤولية تحتاج إلى علم وحكمة واستعانة بالله، وليست زرًّا نضغط عليه فتتغير النفوس في لحظة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[7] .وهذه المسؤولية لا تتحقق بكثرة الأوامر وحدها، بل بالتعليم والقدوة والصبر والدعاء وبذل الأسباب.نسأل الله تعالى أن يصلح أبناءنا وبناتنا، وأن يجعلهم قرة أعين لنا، وأن يعيننا على أداء الأمانة، ويرزقنا الحكمة والرفق والصبر في تربيتهم.وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور محمد احمد عبد الغني

(7) التحريم: 6